بالمركز الثقافي "هارون الرشيد"

الأصالة بأنامل حافظات الموروث التقليدي

شكل المركز الثقافي "هارون الرشيد" ببلدية وادي قريش، التابع لمؤسسة "فنون وثقافة"، فضاء للنساء الماكثات في البيوت لعرض عدد من المشغولات اليدوية والحرفية التقليدية، في إطار الاحتفال بحلول السنة الأمازيغية الجديدة، فأبدعن في التعبير عن فرحتهن بهذه المناسبة، بعرض مجموعة من الألبسة والأكلات التقليدية.. "المساء" ولدى تواجدها بالمعرض، احتكت بالمشاركات وتحدثت إليهن عن المشاركة في الاحتفالية وطريقة الاحتفال بيناير.

• رشيدة بلال

البداية كانت مع الحرفية زهور طاهر المختصة في الطرز التقليدي، التي أبدعت في عرض مجموعة من المطرزات اليدوية الموجهة لتزيين المنزل، وغيرها من الأغطية والأفرشة المصنوعة يدويا وبألوان مختلفة.

تقول في معرض حديثها، إن مشاركتها في المعرض كانت لإبراز عمق الصناعة التقليدية واختلافها من منطقة إلى أخرى، وهي مناسبة، حسبها، "تعبر من خلالها كحرفية، عن الطريقة التي تحيي بها هذه المناسبة، والمتمثلة في دخول السنة الأمازيغية الجديدة التي اعتادت أن تحتفل بها بتحضير الأطباق التقليدية، كالبغرير والخفاف و"خبز الطاجين"، مشيرة بالمناسبة، إلى أن المعرض يجمع بين الاحتفال بيناير وفرصة لتقريب الحرفيات الماكثات في البيوت من المواطنين، خاصة أنهن يلعبن دورا كبيرا في الحفاظ على كل ما هو موروث تقليدي، لكن بعيدا عن الأضواء".

غير بعيد عنها، شاركت ميرة عميمور، زوجة بوعلام، المختصة في الخياطة هي الأخرى، بمجموعة متميزة من الألبسة التقليدية، وحسبها، فإن المرأة الماكثة في البيت تلعب دورا كبيرا في الحفاظ على كل ما هو تقليدي، وتعتبر المعارض التي تقام، احتفالا بالمناسبات المختلفة، مثل دخول السنة الأمازيغية الجديدة، فرصة للمشاركة بما يصنعنه من ألبسة وأكلات تقليدية تساهم إلى حد ما في الحفاظ على كل ما هو تقليدي.

وعن طريقة الاحتفال بهذه المناسبة، أشارت الحرفية إلى أنها من ولاية بجاية، نشأت في أسرة كانت تحرص كل الحرص على إحياء جملة من التقاليد والعادات، ولعل أهمها، الاحتفال بيناير، حيث يتم ذبح الدجاج لإقامة وليمة العشاء وتحضير الكسكسي بالخضر واللحم المقدد، حيث يسمى الطبق "تافازينت"، كما يتم أيضا تحضير "الخفاف" و"البغرير".

من جهة أخرى، أشارت محدثتنا إلى ممارسة بعض الطقوس للاستبشار بحلول سنة حلوة، سواء بالنسبة لأفراد العائلة أو المواليد الجدد، حيث تقول، مثلا، يتم وضع الطفل الصغير في القصعة ويفرغ على رأسه "التراز" الذي يشمل مجموعة متنوعة من الحلويات والمكسرات، تفاؤلا بسنة حلوة وسعيدة للطفل.

لأن الاحتفال بيناير، حسب التقاليد، يتطلب الحرص على تحضير عدد من الأكلات التقليدية، شاركت الحرفية ليلى مسيود بعدد من الأكلات التي كانت تحرص عليها الجدات قديما، ومنها - حسب محدثتنا - خبز الشعير، "الرفيس" بزيت الزيتون، "الخفاف"، "البغرير" والكسكسي بالخضر. من جهة أخرى، أشارت الحرفية إلى أنها تحرص من خلال مشاركتها في مثل هذه المعارض، إلى لفت انتباه جيل اليوم إلى عدد من الأكلات التقليدية التي يجهلونها، والتي تعتبر جزءا من تراثنا، ولا يجري الاستغناء عنها بمثل هذه المناسبات.

بينما حرصت من جهتها الحرفية فيروز عميمور، المختصة في صناعة الحلويات التقليدية، على عرض بعض الأكلات التي كان يتم تحضيرها خصيصا للاحتفال بدخول السنة الأمازيغية الجديدة، والمتمثلة - تقول - في معرض حديثها مع "المساء"، في "أغروم لحوال" وهي تشرح "عبارة عن كسرة تحضر بالسميد وزيت الزيتون ومزيج من نبات النعناع البري المطحون، وكذا طبق طمينة الحمص بزيت الزيتون". مشيرة إلى أن مثل هذه المناسبات تكشف عن الجهود التي تبذلها المرأة الماكثة في البيت، للحفاظ، على كل ما هو موروث تقليدي يعكس أصالتنا.

للإشارة، حرصت المشاركات في المعرض، من خلال عرضهن، على إضفاء الطابع التقليدي على كل معروضاتهن، حيث كان هناك حضور مميز للجبة القبائلية في شكلها التقليدي، والقفة المصنوعة من الدوم.

المدينة القديمة "تاحمامت" بباتنة

نافذة على الأوراس الكبير

تشارك الشاعرة الأمازيغية زرفة صحراوي، في احتفالات رأس السنة الأمازيغية الجديدة "أمنزو ن ينار 2969"، ضمن برنامج مميز لشباب "تاحمامت"، تنظم غدا الجمعة بالمدينة القديمة "تاحمامت" المعذر، وقالت "إن الاحتفال بيناير يحمل من الدلالات ما يؤرخ لحضارة أمة"، وتبحث في نظرها في تاريخ الثقافة الأمازيغية وواقعها، مع استشراف مستقبلها والاعتماد على المشاريع العلمية لإبراز الخصوصيات الثقافية الأمازيغية، وتضيف "إن الأمازيغ الأحرار كانوا يحيون المناسبة قبل 950 سنة من ميلاد سيدنا عيسى عليه السلام، واعتمدوها كمرجع للتقويم".

• ع. بزاعي

بخصوص هذه الاحتفالية، أوضحت الشاعرة أنها أقيمت بمبادرة من شباب مدينة تاحمامت، بهدف فتح نافذة على الأوراس الكبير عبر العصور ورسم صور للتفاؤل بسنة خصبة، حتى ولو اختلفت العادات من منطقة لأخرى، إلا أن المغزى يظل ثابتا -حسب المتحدثة- التي أوضحت أن الغاية من وراء ذلك، الحفاظ على البعد الحضاري الذي تتميز به الجزائر وتراثها الموغل في التاريخ، والحفاظ على الشواهد الحية التي تؤكد الامتداد والأصالة.

استحضرت محدثة "المساء" بالمناسبة، الذكرى الثامنة لوفاة مفتش اللغة الأمازيغية عيسى عقون، الذي عرف بإخلاصه للوطن ونضاله السلمي في الحركة الجمعوية، داعية في السياق، في ذكرى رحيله يوم ليلة رأس السنة الأمازيغية من سنة 2011، إلى التذكير بمناقبه والالتفات لأسرته. إلى جانب ذلك، ضمت صوتها لمن أجمعوا من أخصائيين وباحثين في التراث الأمازيغي، على أن الاحتفالات الخاصة برأس السنة الأمازيغية الجديدة (أمنزون ينار 2969)، والمدعمة بترسيم الأمازيغية لغة وطنية رسمية إلى جانب اللغة العربية، بالمكسب المهم الذي يعزز البحوث والنبش في الرصيد الحضاري الأمازيغي للجزائر بتنوعه وثرائه.

يذكر أن احتفالية "تاحمامت"، ستتخلله أنشطة ثقافية، فنية ورياضية بطابع أكاديمي مميّز، وسيقام معرض للكتاب الأمازيغي والأواني والأكلات التقليدية وورشات لـ"التيفيناغ" والسياحة والفنون الجميلة، إلى جانب ذلك، حرص منظمو التظاهرة على أن يكون الاحتفال مميزا، إذ أكدوا على الحركة الثقافية المنتظرة من هذه الأنشطة، ومنها معارض الخرجات السياحية لمنطقة "أذرار ن بوعريف" ومعارض الحماية المدنية، فضلا عن النشاط الرياضي الذي سيشمل دورة كروية وسباق المارطون، فضلا عن مداخلات حول التاريخ الأمازيغي "وان سيتي".

ستتوج هذه الفعاليات بحفل فني من أداء فرقة "يوال"، بحضور ضيوف شرف يتقدمهم فنانون، على غرار عيسى ابراهيمي، نواري نزار والشاعرة زرفة صحراوي، مع إقامة عشاء تقليدي وتكريم بعض الوجوه التي قدمت الكثير للقضية والهوية الأمازيغية.

الحلي الفضية التقليدية

إبداع يترجم الفخر بالهوية

تعد الحلي الفضية التقليدية إحدى الموروثات الحضارية العتيقة التي تشكل فخرا للجزائريين، لاسيما أننا نحوز على تشكيلة فسيفسائية من تلك القطع الجميلة التي يعكس كل موديل منها ثقافة معينة، خصوصا الأمازيغية التي تختلف باختلاف المناطق بين أمازيغ القبائل، الشاوية، الطوارق، "الشناوة" وهم أمازيغ جبل شنوة غرب البلاد، بربر الأطلس البليدي بالعاصمة، بني مزاب، زناتة، وشلوح تلمسان، إذ تحمل تلك الحلي ألوانا ورموزا تعكس الثقافة المحلية لكل منطقة.

• نور الهدى بوطيبة

تعكس الحرف التقليدية الحضارة القديمة لبلد معين، ومن خلالها يحاول روادها حماية الموروثات الثقافية لبلدهم، وإعطاء صورة عما كان يعيش عليه الأجداد قديما، ويروي لنا جانبا من تاريخ لم تبق منه إلا آثار كدلالة على مرور حضارة عليها.

حول هذا الموضوع حدثتنا الحرفية المختصة في صناعة الحلي التقليدية الأمازيغية، سامية أوكالي، ابنة عائلة مختصة في الصياغة أبا عن جد، قائلة "الحلي التقليدية جانب مهم من الموروث الثقافي الجزائري، فلكل منطقة من البلد خاصياتها في هذه الحرف، التي تعتمد أساسا على المعادن الثمينة من ذهب وفضة، وهو ما يوضح مدى عراقة تلك الحضارة وغناها". أبرزت المتحدثة التي كان لنا لقاء معها، على هامش إطلاق فعاليات الأسبوع الثقافي الأمازيغي مؤخرا، الدور الكبير الذي كان للقطع الفضية في الثقافة الأمازيغية، مشيرة إلى أن في زمن مضى، كان ارتداء الحلي الفضية يرمز إلى الخصوبة، الجمال ورقة المرأة الأمازيغية، التي لم تكن تتخلى عن تلك الأكسسوارات الجميلة التي تحمل عدة معاني. يختلف حلي منطقة الأوراس عن مناطق القبائل أو الشاوية أو غيرهم من الأمازيغ في الشكل والألوان، يتطلب صناعة بعضها الفضة فقط ومينا سوداء، في حين يدخل في مناطق أخرى، المرجان والمينا على الألوان التالية: الأزرق، الأخضر، الأحمر والأصفر، حيث تتطلب صناعة كل منها الكثير من الدقة والمهارة، وهي معايير أساسية، حتى يصنع الحرفي بأنامله جواهر دقيقة التصميم بخطوط فضة متشابكة مزينة بأشكال وأحجار جميلة. أعطت المتحدثة بعض أوجه الاختلاف بين حلي الطوارق والحلي القبائلية قائلة "إن الطوارق مثلا، يعكسون في حليهم أنواعا عديدة من الصليب الصحراوي الذي يرمز كل واحد منهم إلى قبيلة معينة، ويختلف باختلاف البيئة التي يعيشون فيها.

في هذا الخصوص، قالت إن المتمكن في قراءة الرموز والألوان التي تحملها المجوهرات الفضية، يمكن له تحليل نوع البيئة التي كان يعيش فيها سكان تلك المنطقة، من خلال ما يعكسه في الحلي، كالتراب، الماء، السماء واخضرار النباتات والأشجار، وهي البيئة التي يعتمد عليها الفرد للعيش، فضلا على الرموز الأخرى التي تحملها أشكال الصياغة، كالصليب الذي يرمز إلى أنواع الأسلحة التي يحملها أصحاب المنطقة للدفاع عن قبائلهم منذ القدم.

وعن بعض أسامي قطع الحلي الأمازيغية في منطقة القبائل، ذكرت الحرفية عدة أنواع حسب استعمالاتها، فهناك أساور "دداح او امشلوخ" و"اخلخالن" و"ابروش" و"ادويرن" و"تحراحت، بالإضافة إلى هذه المجوهرات نجد "ثيمنقوشيت" أو "ثالوكين"، وهي أقراط لا يمكن الاستغناء عنها، فضلا على "لتراك"، وهي بمثابة خاتم بيضوي يزينه في أطرافه المرجان، ولكل قطعة تضيف المتحدثة، دلالة اجتماعية، كالخلخال الذي كان تلبسه العروس الجديدة، ويهدفون من خلال ذلك، إلى تثبيت أقدام العروس بخطوات أنيقة، نظرا لثقل أكسيسوار الخلخال.

اعتمدت سامية أوكالي في أعمالها على الأسلوب الحديث، حيث عرضت موديلات أصلية قديمة كانت تتميز بكبر الحجم وثقلها، لتصنع نسخا مصغرة لتلك الموديلات، تتماشى والحياة اليومية للمرأة العملية التي تبحث عن جمال تلك القطع دون أن تخصصها للمناسبات الكبيرة، كالأعراس ويناير أو بعض الأعياد الأخرى التي تكون مناسبة لارتداء الزي التقليدي الأمازيغي.